

نزار قباني

قالت لي السمراء

در
م
ف
د
م
د

الطبعة الثالثة والثلاثون

نيسان (ابريل) ١٩٨٩

قلبي ، كمنفضة الرماد ، أنا
إن تنبشي ما فيه ، تحترقي
شعري أنا قلبي . . . ويظلمني
من لا يرى قلبي على الورق . . .

نزار

مقدمة

الطبعة الأولى الصادرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤

بقلم الدكتور منير العجلاني

.. لا تقرأ هذا الديوان ، فما كتب ليقرأ .. ولكنه كتب ليغنى .. ويشم ..
ويضم .. وتجد فيه النفس دنيا ملهمة .
ديوان صغير صغير .. مثل حبيبنا " حسن " الذي لخص له موسى فتونه
بهذه الكلمات : " خلقه الله صغيراً ليأتي أملح وأجمل وأنفذ سحراً . "
يا نزار !
لم تولد في مدرسة المتنبي ، فما أجذك تعنى بشيء من الرثاء والمديح
والحكمة ، وما أجذك تعنى بالبيت الواحد من القصيدة يُضرب مثلاً ، وما
أجذك بعد هذا تعنى بالأساليب التي ألفها شعراؤنا وأودباؤنا وإنما أنت "
شيء جديد " في عالمنا " ومخلوق غريب " .
وكأنني أجد في طبيعتك الشاعرة روائح بودلير وفيرلين والبير سامان
وغيرهم من أصحاب الشعر الرمزي والشعر النقي .
وقد تُوهم بعض أبيات لك ذكرت فيها المخمل ، والطراوات ، ووشوشة
النايات ، وارتعاش الربابات ، أنت تأثرت بشعر الشعراء اللبنانيين
المحدثين . فما أريد أن أبرئك من التأثير بأدبهم ، ولا ضير عليك منه ،
فالإنسان يتأثر برفاقه في المدرسة ، يأخذ ويعطي ، ولكنه إذا كان هو
موهوباً طبع كل شيء بطابعه ، وربما ارتفع فوق رفاقه وفوق أساتذته
درجات .. ومن يدري لعل القدر يخبيء لنا فيك شاعراً عالمياً تسبح أشعاره
من بلد إلى بلد وتثمر من أمة إلى أمة :

كمروور العطور مبتلة الريش
على كل منحني ومضيق ..
كقطيع من المواويل حطت
في ذرى موطني الأنيق .. الأنيق ..
حزمة من توجع الرصد .. رف
من سنونو .. يهيمُّ بالتحليق ..

أمل ! .. ولكنه أمل ركزته في نفسي قصيدتك " اندفاع " . فما أظن أن شاعراً أوروبياً كبيراً يكره أن تنسب هذه القصيدة إليه .
لم تعجبني " اندفاع " لكلمات حلوة أخرجها الشاعر من أعماق القواميس كما تستخرج اللآلئ من أعماق البحار ، أو لمعان أبحار لم يسبق إليها .
أعجبني لأنها قطعوا من الموسيقى نقلتني إلى عالم ملهم ، وبعثت في نفسي خيلاً وحساً يتجدد ولا يغيب .
لا تعينني تفاصيل هذه القصيدة – وهي حسنة في جملتها وفي تفصيلها – ولكن الذي يعينني منها هو أنها استطاعت أن تنقلني من بلاد الاستعارات والتشابه والأعيب البلاغة .. إلى حلم رفيع أعوم في " سائله المخملي " أتدوق فيه ذوق الشاعر ، وأتخيل أخيلته ، وكأنه ألقى قلبه في أعنف ساعات الوحي .

* * *

وبعد .. سألني صاحب هذا الديوان أن أكتب له مقدمة ، ولو ملكت الخيار لقلت له : ديوانك كله مقدمة .. إلى كل نفس تحس وتشعر ..
أما " ورقة إلى القارئ " فتكاد تكون (برنامجاً شعرياً) أو (بياناً عاطفياً) لخص فيه الشاعر نزعاته وأساليبه بما يغني عن كل توطئة ، فهو رمزي ، غريزي ، عفوي . وهذه الكلمات كلها تحتاج إلى شيء من التذييل .
١ - شاعرنا رمزي لأنه هو نفسه يقول :

تخيلتُ حتى جعلتُ العطورَ
ثرى .. ويشمُّ اهتزاز الصدى

ولكنه لم يأخذ من الرمزية إلا بمقدار . تبرأ من غموضها ، وجدارها أو شابهها غير متعمد في عنايته بموسيقى الألفاظ منفردة ومجمعة .
أذكر أنني كتبت في معرض الكلام عن الشعر أن الرمزيين يُعنون كثيراً بموسيقى اللفظ ، فإذا أرادوا مثلاً أن يصفوا في بيتين وثبة أسدٍ على حيوان ضعيف ليفترسه ، جاء البيت الأول ضخم نخرج الألفاظ ، والثاني رقيقاً ناعماً كندى الصباح ، فكأن البيت الأول جلود صخر انحط من علٍ ليهشم البيت الثاني ويفترسه .
ولعل من خير الأبيات في الدلالة على قوق الناحية الموسيقية عند الشاعر هذا البيت :

فلولاي ... ما انفتحت وردة

ولا فقع الثدي أو عربدا

فكلمتا " فقع " و " عربد " تشبهان بجرسهما أمواجالتيار الصخّابة
وتريانك – ولو كنت تجهل اللسان العربي – تكوّر الثدي وحركته ...
٢- شاعرنا غريزي أو هو على الأقل يدعي ذلك . ألم يقل لنا :

بأعراقيَ الحمرِ ... امرأةٌ ...
تسيرُ معي في مطاوي الردا
تفحُّ .. وتنفّثُ .. في أعظمي
فتجعل من رئتِي موقدا ..
هو الجنس احمل في جوهرِي
هيولاهُ ، من شاطيء المبتدا
بتركيب جسمي " جوعٌ " يحنُّ
لآخر .. جوعٌ يمدُّ اليدا ..

وإنك لتجده يصف الشهوة في غير قصيدة واحدة وصفاً لا يخلو من القوة:

عبثاً جهودك بي الغريزة مطفأه
إني شبعتك جيفةً متقيةً ..
مهما كتمت .. ففي عيونك رغبةٌ
تدعو ، وفي شفتيك تحترق امرأة ..
انا لا تحركني العجائز .. فارجعي
لك أربعون .. وأي ذكرى سيئه ..

ولكنه لم يستطع أن ينزل مع الشهوانيين إلى قرارة الجحيم الذي يسكنونه.
فحسبنا وحسبه المدى الذي بلغه . ولعل الأتقياء يجدون سبيلاً إلى الطعن ،
وإن يكن أحاط نفسه في كل قصيدة بطلاسم يستنكر فيها الإثم ، ولكنه في
الواقع إنما يستنكر الجريمة ، كزواج فتاة من شيخ مثلاً ، لأنه إنما ينظر
إليها بعيون الفن لا بعيون الفضيلة . وهذا دليل آخر على شاعريته .
على أن شاعرنا إن لم يكن منحلّاً في الشهوة ، فقد وُفق في وصف
الجمال ، والحب البكر توفيقاً بعيداً ، حتى لتكاد تشعر وأنت تنشد بعض
قصائده أنك في عرس من أعراس الآلهة ، وأنها تخاطب بلسانه .

أما جمال حسنائه فقد صنع له صورة لا تختلف عن صورة الرسام إلا
بأنها تتكلم .. وإلا بأنها شاعرة وعاشقة :

قميصك الأخضر .. من يا ترى
باعك هذا اللون ، قولي .. اصدقي
أمن ضفاف " السين " خياطته
واللون .. من " دانوبه الأزرق " .
أم من صغير العشب لملمته ..
في سلة بيضاء من زنبق ..

أو هذه الأغنية في شقرائه :

شقراء .. يا فرحة عشريننا
ونكهة الزق .. وهزج الفراش
نمشي .. فيندى العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراش ..
ونشرب الليل صدى " ميجنا " .
وصوت فلاح .. وعود مواش

يا لهذه الصورة .. ما أحلاها .. وما أنداه .. وما أحيها .. ألا ترى من
خلالها فتنة العيون الخضر .. وتشرب مناجاة العاشقين كما يشربان هما
صوت " الميجنا " ..

٣- نزار عفوي . يريد بذلك أنه لا يتكلف صناعة الشعر تكلفاً ، ولا يكتب
ليلقن أستاذ في مدرسة صغار التلاميذ أشعاره :

عزفت .. ولم اطلب النجم بيتاً
ولا كان حلمي أن اخلدا ..
إذا قيل عني " أحس " كفاني
ولا أطلب " الشاعر الجيدا " ..
شعرت " بشيء " فكونت " شيئاً " .
بعفوية دون أن أقصدا ...

ولعل نزاراً بعد هذا ، لا يعتذر عن عفويته ، فالشاعر كما يقول " فرنسيس جامس " طفل ، وإذا لم يكن طفلاً ، ساذجاً ، بريئاً يتكلم من قلبه بطل أن يكون شاعراً عظيماً .

أما أسلوب نزار ، من ناحية اللغة ، فقد نستطيع أن نسميه " السهل الممتنع " . وربما استعمل تراكييب عامية ، ولكن هذا قليل جداً . والألفاظ العامية التي اختارها فيها قوة وإغراء . ولولا هذه القوة في كلمات الشعب ما استعارها شاعر كشكسبير مثلاً .

وبعد .. وبعد .. ماذا أذكر من قصائد هذا الديوان وماذا أدع ؟ .. لو سئلت عن محاسنها لأجبت كما أجاب بودلير شيطانه :

" إنها تشبه نعنعة الماء ، لا يفضل بعضها على بعض ، تنفث السحر كالفجر ، وتغدق السلوى كالليل ، نفسها يتصاعد موسيقى ، وصوتها يوضع طيباً .. "

* * *

نزار !

لا أسألك .. لا أسأل الله إلا شيئاً واحداً .. أن تبقى كما أنت ، طفلاً

يصور .. ويغني .. ويعشق ..

كأنه ملاكٌ يمشي على الأرض ويعيش في السماء .. لا يطلب " الشاعر الخالد " .

فإن " الشاعر الخالد " الذي يعيش في الجامعات العلمية والمكتبات الأثرية .. يجر وراءه في الطريق الصحراء القاحلة .. وعفونة جماعةٍ من أغبياء المعلمين ..

أما أنت .. فغنك تمر مرور الموكب الملكي .. أو الملائكي :

مررت .. أم نوار مر هنا
لولاك وجه الأرض لم يُعشَب
تمهلي في السير .. هل رغبةً
ظلتُ بصدر الدرب .. لم ترغب ..
شارعنا .. أنكر تاريخه ..
والتف بالعقد .. وبالجورب
أذرعنا .. أذرع أشواقنا
تهتف بالذهاب .. لا تذهب ..
دوسي .. فمن خطوك قد زرر
الرصيف .. يا للموسم الطيب ..

يا للموسم الطيب !
ما أجد أحلى من هذه الكلمة في تحية ديوانك .

منير العجلاني

أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤

ورقة إلى القارئ

كميس الهوادج .. شرقيةً
ترش على الشمس حلو الحدا ..

كدندنة البدو .. فوق سريرٍ
من الرمل ، ينشف فيه الندى

ومثل بكاء المآذن .. سرت
إلى الله ، أرح صحو المدي

أعبيء جيبى نجومًا .. وأبني
على مقعد الشمس لي مقعدا

ويبكي الغروب على شرفتي
ويبكي لأمنحه موعدا ..

شراعٌ أنا .. لا يطيق الوصول
ضياغٌ أنا .. لا يريد الهدى

حروفي ، جموع السنونو ، تمد
على الصحو معطفها الأسودا

أنا الحرف . أعصابه . نبضه .
تمزقه قبل أن يولدا ..

أنا لبلادي .. لنجماتها
لغيماتها .. للشذا .. للندى

سفحت قوارير لوني نهواراً ..
على وطني الأخضر المفتدى

ونتفت في الجو ريشي صعوداً

ومن شرف الفكر أن يصعدا
تخيلتُ حتى جعلت العطور ترى
ويشم إهتزاز الصدى ..

* * *

بأعراقي الحمر .. امرأة
تسير معي في مطاوي الردا
تفح .. وتتفخ في أعظمي
فتجعل من رئتي موقدا ..

هو الجنس أحمل في جوهره
هيولاه من شاطيء المبتدا

بتركيب جسمي .. جوع يحن
لآخر .. جوع يمد اليدا

أتحسب أنك غيري ؟ ضللت
فإن لنا العنصر الأوحدا

جمالك مني .. فلولا لم تك
شيئاً ... ولولا لن توجدا

ولولا ما انتفحت وردة
ولا فقع الثدي أو عربدا

صنعتك من أضلعي .. لا تكن
جحوداً لصنعي أو ملحدا

أضاعك قلبي ، ولما وجدتكَ
يوما بدربي .. وجدت الهدى

عَزَفْتُ ولم أطلب النجم بيتاً
ولا كان حلمي أن أخلدا

إذا قيل عني " أحس " كفاني
ولا أطلب " الشاعر الجيدا "

شعرت " بشيء " فكونت " شيئاً "
بعفوية ، دون ان أقصدا

* * *

فيا قارئ .. يا رفيق الطريق
أنا الشفتان .. وأنت الصدى

سألتك بالله .. كن ناعماً
إذا ما ضمنت حروفي غداً ..

تذكر .. وأنت تمر عليها
عذاب الحروف .. لكي توجدا ..

* * *

سأرتاح .. لم يكُ معنى وجودي
فضولاً .. ولا كان عمري سدى

فما مات من في الزمان ..
أحب .. ولا مات من غردا

مذعورة الفستان

مذعورة الفستان .. لاتهربي
لي رأي فنان ، وعينا نبي

شارعنا أنكر تاريخه
والتف بالعقد .. وبالجورب

والتهم الخيط .. وما تحته
وأتعب الخصر ولم يتعب

واقترح النهدي .. وأسواره
ولم يعد من ذلك الكوكب

شارعنا يمشي على شوقه
يمشي على جرح هوى مرعب

يمشي بلا وعي ولا غاية
مثلك ، يا مبهمة المطلب

حركت بالإيقاع أحجاره
فاندفعت في عزة الموكب

فديت يا ساحبةً خلقها
شيئاً من الليل .. من المغرب

أهذه أنت ؟ صباحي رضا
أعمارنا قبلك لم تكتب .

تمهلي في السير .. هل رغبة
ظلت بصدر الدرب لم ترغب ؟

هل حجر - إذا لحت - لم يلتفت
لم ينسجم . لم يبك . لم يطرب

تسلسلي ، مفتاح رصد ، ثبي
فراشة بيضاء ، في ملعب

* * *

مخضرة الخطوة .. لا تجفلي
هل نغضب الورد .. كي تغضبي ؟

مشى بك المقهى .. مشى حيناً
خلف حفيف المنزر المطرب

نحن افتكارُ الجرح في نفسه
حلم طيور البحر بالمركب

أذرنا . أذرع أشواقنا
تهتف بالذهاب : لا تذهب !

نحن ! دعي نحن .. أيا واحدة
يحلم فيها كل مسترطب ..

مررت .. أم نوار مر هنا ؟
لولاك وجه الأرض لم يعشب

دوسي . فمن خطوك قد زرر
الرصيف . يا للموسم الطيب ..

مكابرة

تراني أحبك ؟ لا أعلم
سؤال يحيط به المبهم

وان كان حبي افتراضاً . لماذا ؟
إذا لحت طاش برأسي الدم

وحار الجواب بحنجرتي
وجف النداء .. ومات الفم

وفر وراءَ ردائك قلبي
ليلثم منك الذي يِلثمُ

تراني أحبك ؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

وفي الليل . تبكي الوسادة تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجمُ

وأسأل قلبي : أتعرفها ؟
فيضحك مني ولا أفهمُ

تراني أحبك ؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

وإن كنتُ لستُ أحبُّ .. تراهُ
لمن كل هذا الذي أنظمُ ؟

وتلك القصائدُ أشدو بها
أما خلقها امرأةٌ تلهمُ ؟

تراني أحبك ؟ لا . لا . محالٌ
أنا لا أحب .. ولا أغرمُ

* * *

إلى أن يضيقَ فؤادي بسري
ألح . وأرجو . وأستفهمُ

فيهمسُ لي : أنتَ تعبدُها
لماذا تكابرُ .. أو تكتمُ ؟

الموعد الاول

.. ويمنحني ثغرها موعدا
فيخضر في شفتيها الصدى
وأمضي إليها .. أنا شهقات القلوع
تغازلُ لونَ المدى ..
وأين القرارُ ؟ سبقت الزمانَ
سبقتُ المكانَ .. سبقتُ غدا
أخوضُ في الصبح .. ملءَ طريقي
أريجُ .. وملءَ قميصي ندى
يدي في ذراعك .. أين الضياع
تخافينه ؟ نحن نهدي الهدى
أحبك فوق التصور .. فوق
المسافات .. فوق حكايا العدا
جرخت الأزاميل فيك .. حملتُ
إلى شعرك القمرَ الأسودا ..
وشجعتُ نهديك .. فاستكبرا
على الله حتى .. لم يسجدا !!

أكتبي لي

إلي أكتبي ما شئت .. إني أحبه
وأتلوه شعراً .. ذلك الأدب الحلوا

وتمتص أهدابي انحناءات ريشة
نسائية الرعشات .. ناعمة النجوى

عليّ اقْصُصْني أنباءَ نفسك .. وابعثني
بشكواك ، من مثلي يشاركك الشكوى ؟

لتفرحني تلك الوريقاتُ حُبرتْ
كما تفرحُ الطفلَ الألاعيبُ والحلوى

وما كان يأتي الصبرُ .. لولا صحائفُ
تسلمُ لي سرّاً .. فتلهمني السلوى

أحن إلى الخط المليس .. ورقعة
تطير كالنجمات أحرفها النشوى

أحسُّك ما بين السطور ضحوة
تحدثني عيناك في رقة قصوى

تغلغلت في بال الحروف مشاتلاً
وصتا حريري الصدى ، وداعاً ، حلوا

رسائلك الخضراء .. تحيا بمكتبي
مساكب وردٍ تنشر الخير والصحوا

زرعت جواريري شذاً وبراعماً
وأجريت في أخشابها الماء والسروا ..

إليّ اكتبني إما وجدت وحيدة
تدغدغك الأحلام في ذلك المأوى

ومرت على لين الوسادة صورتي
تخضبها دمعاً .. وتغرقها شجوا

وما بك ترتابين ؟ هل من غضاضة
إذا كتبت أخت الهوى للتي تهوى ؟

ثقي بالشذا يجري بشعرك أنهرأ
رسائلك النعماء في أضلعي تُطوى

فلستُ أنا من يستغل صبيةً
ليجعلها في الناس أقصوصة تُروى

فما زالَ عندي – برغم سوابقي –
بقيةُ أخلاق .. وشيءٌ من التقوى

أمام قصرها

متى تجيئين ؟ قولي
لموعدٍ مستحيلٍ

يعيش في الظن .. فوق
الوقوع .. فوق الحصول

وأنتِ . لا شيء إلا
وعد ببال الحقول

وأنت خيط سرابٍ
يموتُ قبل الوصول

ظل التصاميم تمشي
في جبهة الإزميل ..

* * *

أنا على الباب .. أرجو
انزياح سترٍ صقيل

يلهو الشتاء بشعري
ومعطفي المبلول.

أشقى .. وأنتِ استليني
ريش الوسادِ النبيلِ.

طيف تتلج .. خلفَ
الزجاج .. هيا افتحي لي ..

* * *

من أنتَ ؟ وارتاعَ نهْدُ
طفْلُ .. كثير الفضولِ.

من أنتَ ؟ أوجعتَ حتى
تفتنا إلى القميصِ الكسولِ.

أوجعتَ أكداسَ لوزٍ
فديتَ منْ مجهولِ ..

أنا بقايا البقايا
من عهد جر الذبولِ.

أهواكِ مُذْ كنتِ صُغرى
كصفحة الإنجيلِ.

ومن زمانٍ .. زمانٍ
ومن طويلٍ .. طويلٍ ..

وكنتُ أغمسُ وجهي
في شعركِ المجدولِ.

في شكلِ وجهكِ أقرأ

شكل الإله الجميل ..

* * *

متى ؟. وُردَّتْ صلاتي
مع انهماك السدول

إندفاع

أريدك
أعرفُ أنني أريد المحال
وأنتك فوق إدعاء الخيال
وفوق الحيازة ، فوق النوال
وأطيبُ ما في الطيوب
وأجملُ ما في الجمال

* * *

أريدك
أعرفُ أنك ، لا شيءَ غيرُ إحتمال
وغيرُ افتراضٍ
وغير سؤالٍ ، ينادي سؤال
ووعدٍ ببال العناقيد
بال الدوال

* * *

أريدك
أعرفُ أن النجوم
أروم
ودون هوانا تقوم
تخوم
طوال .. طوال
كلون المحال

كرجّع المواويل بين الجبال
ولكن .. على الرغم مما هوَ
وأسطورة الجاه والمستوى
أجوبُ عليكِ الذرى والتلالُ
وأفتحُ عنكِ
عيونَ الكوى
وأمشي .. لعلِّي ذاتَ زوالٍ
أراكِ .. على شجرة الملتوى
ويوم تلوحين لي
على لوحة المغرب المخملي
تباشير شال ..
يجر نجومًا
يجر كرومًا
يجر غلالًا
سأعرفُ أنكِ أصبحتِ لي
وأني لمستُ حدودَ المحال

أنا محرومة

لا أمُّهُ لانت .. ولا أُمِّي
وحبه ينامُ في عظمي

إن خبأتُ أُمِّي بصندوقها
شالي . فلي شالُ من الغيم

أو أوصدوا الشباك كي لا أرى
فَتحت شباكًا من الوهم

ما أشفقَ الناسُ على حبنا
وأشفقتُ مساندُ الكرم

أحبُّ عطرَ الجرح من أجله
فهل تراهم عطروا همي

أما بذرنا الرصدَ والميجنا
هناك في جنينة النجم ..

قوافلُ الأقمار من رسمه
وما تبقى كله رسمي ..

وقبلنا لا شالَ شالٌ .. ولا
أدرك خصرُ نعمة الضم

من فضلنا ، من بعض أفضالنا
أنا اخترعنا عالم الحلم ..

في المقهى

بجواني اتخذت مقعدها
كوعاء الورد في اطمئنانها

وكتابٌ ضارِعٌ في يدها
يحصد الفضلة من إيمانها

يثب الفنجان من لهفته
في يدي ، شوقاً إلى فنجانها

آه من قبعة الشمس التي
يلهتُ الصيف على خيطانها

جولة الضوء على ركبته
زلزلت روعي من أركانها

هي من فنجانها شاربةٌ
وأنا أشربُ من أجفانها

قصة العينين .. تستعبدني
من رأى الأنجم في طوفانها

كلما حدقتُ فيها ضحكتُ
وتعري الثلج في أسنانها

* * *

شاركيني قهوة الصُّبح .. ولا
تدفني نفسك في أشجانها

إنني جارك يا سيدتي
والربى تسألُ عن جيرانها

من أنا ؟ خلي السُّؤالات . أنا
لوحة تبحثُ عن ألوانها

* * *

موعداً ، سيدتي ! وابتسمتُ
وأشارتُ لي إلى عنوانها ..

وتطلعت فلم ألمح سوى
طبعة الحمرة في فجانها

إسمها

إسمُها في فمي .. بكاءُ النوافير ..
رحيلُ الشذا .. حقولُ الشقيق ..

حزمة من توجع الرصد .. رفُّ
من سنونو يهم بالتحليق ..

كنهور الفيروز يهدرُ في روعي
وينساب في شعوري العميق ..

كلهات الكروم ، كالنشوة الشقراء
غامت على فم الإبريق.

كمرور الطيور مبتلة الريش.
على كل منحني ومضيق ..

كحرير النهد المزهز .. فيه
علق الله قطرة من عقيق ..

كقطيع من المواويل .. حطت
في ذرى موطني الأنيق الأنيق.

إسمها .. ركضة النبيذ بأعصابي
وزحف النسور طي عروقي

شفتي ، كالمزارع الخضر ، إن مرّ
كنيسان ، كالربيع الوريق.

أحرف خمسة كأوتار عود
كترانيم معبد إغريقي ..

أحرف خمسة .. أشف من الضوء
وأشهى من نكهة التطويق.

* * *

إسمك الحلو .. أي دنيا تناغيني
وتهدي إلى النبوغ طريقي !

غرفتها

في الحجرة الزرقاء .. أحيا أنا
بعدك ، يا أخت ، أصلي الرياش

وأمسح المهد الذي لفنا
وفيه برعمنا الحرير افتراشُ

ليلات ذرذنا تشاويقنا
فساح بالأطياب منا الفراشُ

ونديك الفلي .. كوم سنا
يغمى على البياض منه القماشُ

* * *

شقراء .. لا أعدمها لثغةً
يعيا بها ثغرك عند النقاشُ

شقراء .. هل أحيا على صورة
ومن على الألوان والظل عاشُ ؟

منديلك الخمري .. أحيا به
ففيه من طيبك بعض الرشاشُ

وها هنا رسالة .. نترك الغالي .. بها
أخفيه عن كل واشُ

أعز ما خلفت لي خصلةً
حبيبةً تهتز فوق الفراشُ

تظل .. إما جئت ألثمها
تهفو إلى منبتها في ارتعاشُ

شقراء .. يا فرحة عشرينا
ونكهة الزق .. وهزج الفراشُ

شقراء .. يا يوما على المنحنى

طاش به ثغري .. وثغرك طاشُ

نمشي فيندي العشب من تحتنا
وفوقنا للياسمين اعتراشُ

ونشرب الليل ، صدى ميجنا
وصوت أجراسٍ .. وعود مواشُ

قولي .. ألا يغريك لون الدنيا
لعود .. فالطير أتت للعشاشُ

زيتية العينين

زيتية العيني .. لا تغلقي
يسلم هذا الشفق الفستقي

رحلتنا في نصف فيروزة
أغرقت الدنيا ولم تغرق ..

في أبدٍ . يبدأ ولا ينتهي
في ألف دنيا ، بعد ، لم تخلق .

في جزرٍ تبحث عن نفسها
ومطلق يولد من مطلق .

وتنتهي الدنيا ولا ينتهي
تشردي في غابة الفستق .

* * *

قميصك الأخضرُ .. من يا ترى
باعك هذا اللون .. قولي . اصدقي

أمن ضفاف (السين) خياطه

واللون من دانوبه الأزرقـ

أم من صغير العشب لملتهـ
في سلة بيضاء من زنبقـ

بحيرةٌ خضراءُ في شطها
نامت صبايا النور .. لم تتقي

كأنما عينكـ وسط الضيا
صفصافة تحت الضحى الزنبقي

عريشة كسلى على سفحها
عنقودها بالشمس لم يحرقـ

* * *

شباكي الصغيرُ .. يفضي إلى
فسقية .. يفضي إلى المشرقـ

إلى نوافير رمادية
تبكي بصوت أزرق .. أزرقـ

يفضي إلى لا حيثُ .. شباكنا
يفضي إلا لا منتهى شيقـ

من ألف عام وأنا مبحرُ
ولم أصل .. ولم يصل زورقي

أمضي على زمرد دافىء
يرهقني .. فديت يا مرهقي

وشوشة المياه مسموعة
من خلف خلف الهدب المطرقـ

قطراتُ فيروز على جبهتي
منك ، على شعري .. على مفريقي

يا مطر العينين .. لا تنقطع
أنا حنين الطيب للدَّورقِ

لا تنقطع ثانيةً .. إنني
جوع الربى للأخضر المورقِ

يا مرفأ الفيروز .. يا متعباً
سفینتی . لابد أن نلتقي

حبیبة وشتاء

.. وكان الوعد أن تأتي شتاء
لقد رحل الشتاء .. ومضى الربيعُ

وأقفرت الدروبُ ، فلا حكايا
تطرزها ، ولا ثوبٌ بديعُ .

ولا شالٌ يشيلُ على ذرانا
ولا خبرٌ .. ولا خبرٌ يشيعُ

وهاجرَ كل عصفور صديق
وماتَ الطيبُ ، وارتمت الجذوعُ

حبیبة .. قد تقضى العامُ عنا
ولم يسعد بك الكوخُ الوديعُ

ففي بابي يُرى أيلولُ يبكي
وفوق زجاج نافذتي دُموعُ

ويسعل صدرُ موقدتي لهيباً

فيسخنُ في شراييني النجيع

تلتفتُ الستائرُ في حنينٍ
وتذهلُ لوحةً .. ويجوعُ جوعُ

* * *

أحبك .. في مراهقة الدوالي
وفيما يضمُر الكرمُ الرضيعُ

وفي تشرينَ ، في الحطبِ المغني
وفي الأوتار عذبها الهجوغُ

وفي كرم الغمام في بلادي
وفي النجمات في وطني تضيعُ

أحبك .. مقلّةً وصفاء عين
إليها قبلُ .. ما اهتدت القلوعُ

أحبك .. لا يحد هواي حد
ولا ادعت الضمائر والضلوع

أشم فيك رائحةَ المراعي
ويلهث في ضفائرك القطيعُ ..

أقبلُ إذْ أقبله حقولاً
ويلثمّني على شفتي الربيعُ

أنا كالحقل منك .. فكل عضوٍ
بجسمي ، من هواك ، شداً يضوغُ

* * *

جهنمي الصغيرة .. لا تخافي
فهل يطفئ جهنم .. مستطيع ؟

فلا تخشي الشتاء ولا قواه
ففي شفتيك يحترق الصقيع

مساء

قفي .. كستنائية الحصلات ..
معي ، في صلاة المساء التائب

نرّ الليل يرصفُ نجماته
على كتف القرية الراهبة

ويرسمُ فوق قراميدها
شريطاً من الصور الخالبه

قفي .. وانظري ما أحب ذرانا
وأسخى أناملها الواهبه

مواويل تلمسُ سقفَ بلادي
وترسو على الأنجم الغاربه

على كرز الأفق قام المساء
يعلق لوحاته الشاحبه

وتشرين شهرُ مواعيدها
يُلوح بالديم الشاكبه

بيادرُ كانت مع الصيف ملأى
تنادي عصافيرها الهاربه

وفضلات قش .. وعطرٌ وجيعٌ
وصوتُ سننونةٍ ذاهبه

شحوبٌ .. شحوبٌ على مدّ عيني
وشمسٌ كأمنيةٍ خائبة

إطارٌ حزينٌ لأحبك فيه
وفي الحرج يستنظر الحاطبة

وفي عبق الخبز في ضيعتي
وطفرات تنورة آيبه ..

وفي جرس الدير يبكي .. ويبكي
وفي الشوح ، في ناره اللاهبة

وفي النهدي يعلك طوق الحرير
وفي نخوة الحلمة الغاضبة ..

أحبك .. حرفاً ببال الدواة
ووعداً على الشفة الكاذبة

وخضراً يعيش بنعمى يدٍ
ويحلم بالراحة الغاضبة

وفي اللون .. في الصوت .. في كل شيء
وفي الله .. في دمة الراهبة

أحبك أوسع من كل دنيا
ومن مدعى الريشة الكاتبة

خاتمة الخطبة

ويحك ! في إصبعك المخملي
حملت جثمان الهوى الأول

تهنئني .. يا من طعنت الهوى

في الخلف .. في جانبه الأعزل

قد تخجل اللبوة من صيدها
يوماً ، فهل حاولت أن تخجلي ؟

بائعتي بزائفات الحلى
بخاتم في طرف الأنمل

بوهج أطواق خرفية
وبالفراء ، الباذخ ، الأهدل

* * *

أعقد ماسٍ وانتهى حبنا ؟
فلا أن منك .. ولا أنت لي ..

وكل ما قلنا . وما لم نقل
وبوحنا في جانب المنقل

تساقطت صرعى على خاتم
كالليل ، كاللعة ، كالمنجل ..

* * *

كيف تأمرت على حبنا
وعامه الأول .. لم يكمل ..

جذلى .. وفي مآثم أشواقنا ؟
جذلى .. ونعش الحب لم يقفل ؟

والخاتم الزاهي ، خريف المنى
يرصدني كالقدر المنزل

يخبرني أن زمانَ الشذا
راح ، وغازتُ صيحةُ البلبلِ

* * *

بائعتي .. بائعةً نفسها
ماذا تمنيت ولم أفعل ؟

نصبت فوق النجم أرجوحتي
وبالدماء رسمت مستقبلي

وبيتنا الموعودُ .. عمرتهُ
من زهرات اللوز ، كي تنزلي

قلعتُ أهداً .. وسورتهُ
ورداً على الشرفة .. والمدخلِ

أرقبُ أن تأتي كما يرقبُ
الراعي طلوعَ الأحضر المقبل ..

* * *

صدفت عني .. حين ألفتني
تجارتي الفكرُ .. ولا مالَ لي

أبني بيوتي في السحاب القصي
فيكتسي الصباحُ من مغزلي

جواهرُ تكمنُ في جبهتي
أثمنُ من لؤلؤك المرسلِ

* * *

سبيةَ الدينار ، سيرى إلى
شاركِ بالنقود .. والمخمل.

لم اتصور أن يكون على
اليَد التي عبدتها .. مقتلي !!

سمفونية على الرصيف

سيرى .. ففي ساقيك نهرا أغاني
أطرى من الحجاز .. والأصبهاني

بكاءُ سمفونيةٍ حلوةٍ
يغزلها هناك .. قوسا كمان

أنا هنا .. متابع نغمة
قادمة من غابة البيلسان

أنا هنا .. وفي يدي ثروة
عيناك .. والليل .. وصوت البيان

لا تقطعي الإيقاع .. لا تقطعي
ودمري حولي حدود الثواني

وأبحري في جرح جرحي .. أنا
لشهوتي صوتٌ .. لجوعي يدان

* * *

اليوم .. أصبحنا على ضجةٍ
قبل اختفت من حُرَجنا .. سروتان

قبل اختفت أطول صفصافة
أطول ما في السفح من خيزران

سارقة أغنى حواكيرنا
سارقة اللباب والأقحوان

مدينتي قد ضيعت نفسها
وهاجرت مع الحرير اليماني

وودعت تاريخ تاريخها
وضيعت زمانها من زمان

وداعبت نهذاً كالعوبة
تصبح إن دغدغها إصبعان ..

نهذاً لجوجاً فيه تيه الذرى
وما لدى ربي من عنفوان

مدينتي ! لم يبق شيء هنا
لم يبتفض ، لم يرتعش من حنان

* * *

شيري .. فإني لم أزل منصتاً
لقصة تكتبها فلتان ..

نحن انسجام كامل .. واصلني
عزفك .. ما أروع صوت البيان

إلى مصطافه

أأنت على المنحنى تقعين ؟
لها رئتني هذه القاعده ..

مشاوير تموز .. عادت وعدنا
لننهب دالية راقده ..

لنسرق تيناً من الحقل فجاً
لننقفَ عصفورةً شاردةً

لأفرطَ حباتِ توتِ السياجِ
واطعمَ حلمتكِ الناهدةً

لأغزلَ غيمَ بلادي شريطاً
يلف جداولك الراحدةً

لأغسلَ رجلك يا طفلي
بماء ينابيعها الباردة

* * *

سماوية العين .. مصطافتي
على كتف القرية الساجدة

أحبك .. في لهو بيض الخراف
وفي مرح العنزة الصاعدة

وفي زمر السرو والسنديان
وفي كل صفصافة ماردة

وفي مقطع من أغاني جبالي
تغنيه فلاحه عائدة

* * *

صديقة .. إن العصافير عادت
لتنقر من جعبة الحاصدة

أحبك أنقى من الثلج قلباً
وأظهر من سبحة العابدة

حلمتِ اندفاعه هذا الصبي
كما احتملت طفلها الوائد

أحبك .. زوبعة من شبابٍ
بعشرين لا تعرف العاقبة

جموع السنونو على الأفق لاحت
فلوحي .. ولو مرة واحدة ..

فم

في وجهها يدور .. كالبرعم
بمثله الأحلام لم تحلم

كلوحة ناجحة .. لونها
أثار حتى حائط المرسم

كفكرة .. جناحها أحمر
كجملة قيات .. ولم تفهم

كنجمة قد ضيعت دربها
في خصلات الأسود المعتم

زجاجة للطيب مختومة
ليت أواني الطيب لم تختتم

* * *

من أين يا ربي عصرت الجنى ؟
وكيف فكرت بهذا الفم

وكيف بالغت بتدويره ؟
وكيف وزعت نقاط الدم ؟

وكيف بالتوليب سورته
بالورد ، بالعناب ، بالعندم ؟

وكيف ركزت إلى جنبه
غمزة .. تهزأ بالأنجم ..

كم سنة .. ضيعت في نحتي ؟
قل لي . ألم تتعب .. ألم تسأم ؟

* * *

منظمة الشفاء .. لا تفصحي
أريد أن أبقى بوهم الفم ..

أحبك

أحبك .. لا أدري حدود محبتي
طباعي أعاصير .. وعاطفتي سيل

وأعرف أنني متعب يا صديقتي
وأعرف أنني أهوج .. وأنني طفل

أحب بأعصابي ، أحب بريشتي
أحب بكلي .. لا اعتدال ، ولا عقل

أنا الحب عندي جده وتطرف
وتكسير أبعاد .. ونار لها أكل

وتحطيم أسوار الثواني بلمحة
وفتح سماء كلها أعين شهل

وتخطيط اكوان ، وتعمير أنجم
ورسم زمان .. ماله .. ماله شكل

أنا ما أنا .. فلتقبليني مغامراً
تجارتُهُ الأشباح ، والوهم ، والليلُ

* * *

أحبكِ تعترينَ في خمسَ عشرةِ
ونهدك في خيرٍ .. وخصركِ معتلُ

وصدركِ مملوءٌ بألفِ هديةٍ
وثغركِ دفاقُ الينابيعِ مبتلُ

تعيشينَ بي كالعطرِ يحيا بوردةٍ
وكالخمِرِ في جوفِ الخوابي لها فعلُ

وقبلكِ لم أوجدُ .. فلما مررتِ بي
تساءلتِ في نفسي : ترى كنتُ من قبلُ ؟

بعينيكِ .. قد خبأتُ أحلة قصائدي
إذا كان فضلُ الغنا .. فلكِ الفضلُ

مسافرة

جنّتها نازف الجراح ، فقالت :
شاعرَ الحب والأنشيد .. ما بك ؟

ذاك منديلي الصغير .. فكفكف
قطرات الأسى على أهدابك

نم على زندي الرحيم .. وأشفق
يا رفيق الصبا .. على أعصابك

إرفع الرأس ، والتفت لي قليلاً
يا صغيري ، أكأبتني باكتئابك

ممكناً أن نظل بعدُ صديقين..
تفاءل .. ألم تزل في ارتيابك ؟

* * *

ما تقولين ؟ كيف أحمل جرحي
بيمينني .. كيف احتمال اغترابك

أين تمضين ؟ كيف تمضين ؟ ردي
وأغاني ضارعاتٍ ببابك

وببיתי من ضوء عينيك ضوء
وبقايا من رائعات ثيابك

أنت لي رحمة من الله بيضاء
أحس السلام في أعتابك

أنت كوخ الأحلام أوي إليه
أشرب الصمت في حمى أعشابك

أنت شطٍ اغفت عليه الهنات
وقلعي حيران فوق عبابك

أنت حاولت خمرتي إن طغى الدهر
وجدت السلوان في أكوابك

أنت كرمي الدفيق .. لو يُعبد الكرم
عبدت النيران في أعنابك

* * *

مسحت جبهتي .. بأنملها الخمس

وفكت لي شعري المتشابك

يا صديقي وشاعري : لا تمكن
قبضة اليأس من طموح شبابك

أنت للفن .. قد خلقت وللشعر ..
سيهدي الدنيا بريق شهابك

أنا دعني أسير .. هذا طريقي
وامش يا شاعري إلى محرابك

ما خلقنا لبعضنا .. يا حبيبي
فابق للفن .. للغنا .. لكتابك ..

القرط الطويل

جاران للسايف .. من ذا رأى
على بساط .. رزمتي جوهر

قد فُكَّتَا .. فانفرطت أنجم
على طريق معشب .. مزهر ..

حبلا بريق .. رافقا جيدها
واستأنسا بالهذب والمحجر

وشوشة المياه .. مسموعة
من مقعدي ، وضجة الأنهر

يا طيب شلالين من فضة
سالا على مقالع المرمر

كم غلغلا خلف ذواباتها
وخوضا في المسك والعنبر ..

ما تعباً رقصاً على جيدها
ولا انتهى الهمسُ مع المنزر.

أرجوجةٌ من قلقي خيطها
من نزق المدور الأسمر ..

أسلاكها تمضي على كيفها
تمضي .. وتمضي .. في مدى مقمر.

تخط إن شاءت على شعرها
أو .. لا .. فوق البؤبؤ الأخضر ..

يردني القرط كأني به ..
يخاف أن أعلق بالأحمر.

رغم امتناع القرط .. اجتاحه
أشرس من عصفورة البيدر ..

مرافعة النهد

تزلق فوق ربوتي لذة
ناعمة .. دارت على ناعم.

خمرية كلون عاطفتي
واهمة مثل غدي الواهم.

تنشق من مزرعتي زنبق
زررتا .. للموسم القادم.

تؤويهما .. تحميهما من أذى
من الهوى .. من الشتاء الهاجم.

وتغزل الغزل لكي يدفأ
كي يهنأ .. في المخبأ الحالم.

وتطعمُ الإثنينِ .. من قلبها
من لحمها .. من خيطها الفاغم

تذاعبُ الواحدَ زِ إِمَّا صَحَا
وئسْدُلُ السِتْرَ على النَّائمِ

* * *

رافعة النهْدِ .. احيطي بهِ
كوني لهُ أحنَى من الخاتمِ

قد يَجْرَحُ الدنتيلُ إحساسه
فخففي من قيدك الظالمِ ..

هذا الذي بالغتِ في ضمهِ
أثمن ما أخرجَ للعالمِ ..

نهداك

سمراءُ .. صبي نهدك الأسمرَ في دنيا فمي
نهداكِ نبعًا لذة حمراء تشعل لي دمي
متمردان على السماء ، على القميص المنعم
صنمان عاجيان ... قد ماجا ببحرٍ مضرم
صنمان .. إني أعبدُ الأصنامَ رغم تـأثمي

فكي الغلالة .. واحسري عن نهدك المتضرم
لا تكبتي النارَ الحبيسة ، وارتعاشَ الأعظم
نار الهوى ، في حلمتيكِ ، أكولة كجهنم
خمريتان .. احمرتا بلظى الدمِ المتهجمِ ..
محروقتان .. بشوة تبكي ، وصبرٍ ملجم

نهداكِ وحشيان .. والمصباح مشدوه الفم
والضوء منعكس على مجرى الحليب المعتم

وأنا أمدُّ يدي .. وأسرقُ من حقول الأنجم
والحلمة الحمقاء .. ترصدني بظفر مُجـرم
وتغط إصبعها وتغمسها بحبر من دمي ..

يا صلبة النهدين .. يأبى الوهم أن تتوهمي
نهداك أجملُ لوحتين على جدار المرسم ..
كرتان من زغب الحرير ، من الصباح الأكرام
فنتقدمي ، يا قطتي الصغرى ، إليّ تقدمي ..
وتحرري مما عليك .. وحطمني .. وتحطمني ..

مغرورة النهدين .. خلي كبرياءك وانعمي
بأصابعي ، بزوابعي ، برعونتي ، بتهجمي
فغداً شبابك ينطفي مثل الشعاع المضم
وغداً سيدوبني النهـد والشفـتان منك .. فأقدمي
وتفكري بمصير نهداك .. بعد موت الموسم

لا تفزعي .. فاللثم للشعراء غيرُ محرمٍ
فكي أسيري صدركِ الطفلين .. لا .. لا تظلمي
نهداك ما خلقنا للثم الثوب .. لكن .. للفم
مجنونة من تحجب النهدين .. أو هي تحتمي
مجنونة .. من مرَّ عهد شبابها لم تلتئم ..

.. وجذبتُ منها الجسمَ ، لم تنفرْ ولم تتكلمِ
مخمورة .. مالتْ عليّ بقدها المتهدمِ
ومضتْ تعلنني بهذا الطافر المتكومِ
وتقول في سكرٍ ، معرّبة ، بأرشق مبسمِ
" يا شاعري .. لم ألقَ في العشرين مَنْ لم يفطم .. "

أفيقي ..

أفيقي .. من الليلة الشاعلة
وردي عباءتك المائلة

أفيقي .. فإن الصباح المطلّ

سيفضح شهوتك الشافله

مغامرة النهدي ردي الغطاء
على الصدر والحلمة الآكلة

وأين ثيابك بعثرتها
لدى ساعة اللذة الهائلة

كفاك فخيخاً بصدر السرير
كما تنفخ الحية الصائلة

* * *

أفيقي فقد مرَّ ليلُ الجنون
وأقبلت الساعةُ العاقلة

هو الطينُ .. ليس لطينٍ بقاء
ولذاته ومضةٌ زائلةٌ ..

لقد غمرَ الفجرُ نهديك ضوءاً
فعودي إلى أمك الغافلة

* * *

ستمضي الشهورُ .. وينمو الجنينُ
ويضحكُ الطفلُ والقابلةُ ..

إلى عجوز

عبثاً جهودك .. بي الغريزة مطفأة
إني شبعتك جيئةً متقيئةً

مهما كتمت .. ففي عيونك رغبةٌ
تدعو .. وفي شفتيك تحترق امرأةٌ

إني قرفتك ناهداً متدلياً
وقرفتُ تلك الحلمة المهترئة

أنا لا تحركني العجائزُ .. فارجعي
لكِ أربعونَ .. وأي ذكرى سيئه

* * *

أخت الأزقة .. والمضاجع .. والغوى
والغرفة المشبوهة المتلألئة ..

شفتاكِ عنقوداً دمٍ وحرارةٍ
شفةً أقبلُ أم أقبل مدفأه ؟

والإبط .. أية حفرة ملعونةٍ
الدودُ يملأ قعرها والأوبئة ..

صيرتُ للزوارِ ثديكِ مورداً
إما ارتوت فنةً .. عصرتِ إلى فنةٍ

فبكل ثغرةٍ من حليبكِ قطرةٌ
وقرابةٌ في كل عرقٍ .. أو رئةٍ

إلى منائرة

حسبي بهذا النفخ والهمهمة
يا رعدةً الثعبان .. يا مجرمة

زلقتِ من أهلكِ لم تستحي
زحفاً إلى غرفتي الملهمة ..

مفكوكةً الازرار عن جائعٍ
يصبو إلى النجم لكي يقضمه

وشعرك المسفوح .. خصلاته
مهمله ، لا تعرف الللمه

أفي قميص النوم ، يا ذئبتي ؟
تائهة كالفكرة المبهمة

ونهدك الملف في ريشه
كأرنب إلى يدني فمه

كالأرنب الأبيض في وثبه
الله .. كم حاولت أن أرسمه

هذا الذي يطفر في مخدعي
هل ظل شيء بعد ما حطمه ؟

آمنت بالذات مسلوله
تفور من مقاتك المضرمة

وكم لدى المرأة من مطلب
في جوع عينيها له ترجمه

شهية العطر . أنا مارذ
محاذري أن تكسري قمقمه

ما أنت ؟ ما نهداك ؟ إن قهقهت
عواطفي ، وشهوتي الملجمه

لا يعرف الطوفان في جرفه
ما حلل الله .. وما حرمة ..

مدنسة الحليب

أطعميه .. من ناهديك أطعميه

واسكبي أكرّ الحليبِ بفيه

إتقي الله .. في رخامٍ معرّى
خشبُ المهد كاد أن يشتهيهِ

نشفتُ فورةَ الحليبِ بثديكِ
طعاماً لزائرٍ مشبوه ..

زوجك الطيبُ البسيطُ .. بعيدٌ
عنكِ ، يا عرضه وأُمّ بنيهِ

ساذجٌ ، أبيضُ السريرة ، أعطاكِ
سوادَ العينين كي تشربيه ..

يتركُ الدارَ خاليَ الظنِّ .. ماذا ؟
أيشكُ الإنسانُ في أهليه ؟

أو آذاكِ يالئيمة .. حتى
في قداساتِ نسلهِ تؤذيه ؟

كم غريبٌ أدخلتِ للمخدع الزوجي
يأبى الحياءُ أن تدخله

إستغلي غيابه .. ربّ بيتٍ
هدمته تلك المقمةُ فيه

* * *

والرضيعُ الزحّافُ في الأرضِ يسعى
كلُّ أمرٍ من حوله لا يعيه

أُمهُ في ذراع هذا المسجى
إن يبكي الدهرَ سوف لا تأتيهِ

أبو الطفل .. ذلك الزائرُ الفظُّ
العميقُ العاهاتِ والتشويهِ ؟

أبوهُ هذا ؟ ويا ربَّ مولودٍ
أبوهُ الضجيجُ .. غير أبيه ..

* * *

إن هذا الغذاء يفرزه ثدياكِ
مُلكُ الصغير .. لا تسرقيه

إن سقيت الزوار منه .. فقدماً
لعقَ الهرُّ من دماء بنيهِ ..

البغي

علّقتُ في بابها قنديلها
نازفَ الشريان ، محمّر الفتيله

في زقاقِ ضوأت أو كاره
كل بيتٍ فيه ، مأساةً طويله

غرفٌ .. ضيقه .. موبوءة
وعناوين لـ (ماري) و (جميله)

وبمقهى الحي .. حاكٍ هـرم
راح يجتر أغانيه الذليله

وعجوز خلف نرجيلتها
عمرها أقدم من عمر الرذيله

إنها أمرة البيت هنا ..
تشتم الكسلى .. وتسترضي العجوله

وأمام الباب .. صعلوك هوى
تافه الهيئة ، مسلوب الفضيلة

يعرض اللحم على قاضيه ..
مثلما يعرض سمسارٌ خيوله

" هذه .. جاءت حديثاً .. سيدي
ناهدٌ ما زال في طور الطفولة ..

أو إذا شئت .. فرافق هـذه
إنها أشهى من الخمر الأصيلة .. "

أي رق .. مثل أنثى ترتمي
تحت شاريها ، بأوراق ضئيلة

قيمة الإنسان ، ما أحقرها
زعموه غايةً .. وهو وسيلة ..
* * *

لو ترى الردهة فيها اضجعت
كل بنتٍ كانفتاح الزهره

نهدها منتظرٌ جـزاره
صابر حتى يلاقي قدره

هذه المذهبة السن .. هنا
ترقب الباب بعين حذره

حسرت عن ركبةٍ شاحبةٍ
لونها لون الحياة المنكره

من سيأتي ؟ من سيأتي معها ؟
أي صعلوك . حقير ، نكـره ؟

وهناك .. انفردت واحدة
عطرنا أرخص من أن أذكره ..

حاجب بُلغ في تخطيطه
وطلاء كجدار المقبره ..

وفم .. متسع .. متسع
كغلاف التينة المعتصره

الفضوليون من خلف الكوى
أعين ، جائعة مستعره

وشجار دائر في منزل
وسكاري .. ونكات قذره ..

من رآهن قوارير الهوى ؟
كنعاج بانتظار المجزره

كم صبايا ، مثل ألوان الضحى
أفسدتهن عجوز خطره
* * *

هذه المجدورة الوجه انزوت
كوباء .. كبعير نتن

أخرجت ساقاً لها معروقة
مثل ميت خارج من كفن ..

حفر في وجهها مُعبدة
تركتها عجالات الزمن ..

نهدها حبة تين .. نشفت
رحم الله زمان اللبن ..

فالعصافير التي كانت هُنا
تتغذى بالشذا والسوســــن

كلها طارت بعيداً .. عندما
لم يعدْ في الأرض غير الدِمنِ

إنها الخمسونَ .. ماذا بعدها ؟
غير أمطارِ الشتاء المحزنِ

إنها الخمسونَ .. ماذا ظل لي ؟
غير هذا الوَحْلِ ، هذا العفنِ

غير هذي الكأس أستهلكها
غير هذا التبغ يستهلكني

غير تاريخٍ مُدْمَى .. حيثما
سرتُ ، ألقى ظله يتبعُني

غيرُ أقدامِ الخطايا .. رجعتُ
تُحرقُ الغرفة بي .. تُحرقني

غيرُ ربٍّ .. كنتُ لا أعرفه
وأراه الآن .. لا يعرفني ..
* * *

يا لصوص اللحم .. يا تُجاره
هكذا لحمُ السبايا يؤكلُ

منذ أن كان على الأرض الهوى
أنتُم الذئب .. ونحن الحمل

نحن الآتُ هوىً مجهَدةٌ
تفعلُ الحُبَّ ، ولا تتفعلُ ..

أَنْبُشُوا فِي جُثَثٍ فَاسَدَ
سَارِقُ الْأَكْفَانِ لَا يَخْتَجِلُ

وَارْقَصُوا فَوْقَ نَهْـودٍ صُلِبَتْ
مَاتَ فِيهَا النُّورُ .. مَاتَ الْمَخْمَلُ

مَنْ أَنَا ؟ إِحْدَى خَطَايَاكُمْ أَنَا
نَعْجَةٌ فِي دَمَكُمُ تَغْتَسِلُ

أَشْتَهِي الْأُسْرَةَ وَالطِّفْلَ .. وَأَنْ
يَحْتَوِينِي ، مِثْلَ غَيْرِي ، مَنْزِلُ

أَرْجُمُونِي .. سَدِّدُوا أَحْجَارَكُمْ
كَلَكُمْ يَوْمَ سَقُوطِي بَطْلُ

يَا قِضَاتِي ، يَا رِمَاتِي ، إِنَّكُمْ
إِنَّكُمْ أَجِبْنَ مَنْ أَنْ تَعْدِلُوا ..

لَنْ تَخِيفُونِي فَفِي شَرِّ عَتَكُمُ
يُنْصَرُّ الْبَاغِي ، وَيَرْمَى الْأَعْزَلُ

تُسْأَلُ الْأُنْثَى إِذَا تَزَنَّى .. وَكَمْ
مَجْرَمٍ دَامِيَ الزَّانَا .. لَا يُسْأَلُ

وَسَرِيرٌ وَاحِدٌ .. ضَمَّهُمَا
تَسْقُطُ الْبِنْتُ ، وَيَحْمِي الرَّجُلُ ..

***** النهاية *****
